الفصل الحادي عشر
في قداسة حياته وطهارة سيرته[1]

من الناس من يفتخر بما تملك يداه من حطام هذه الدنيا الفانية وهذا يخدع ذاته ويغرها بالأباطيل. ومنهم من يتيه بمعارفه وعقله وهذا لو فكر بما يجهله لمات حزنًا من غباوته. ومنهم من ترتجف الشعوب أمام عظمته وهو يستنشق الفخار والمجد كالهواء وينسى أنه تراب وعائد إلى التراب ولعمري ليس الغنى شيئًا ولا الجاه ولا العلم ولا الجبروت بل كل ما في هذا العالم باطل ما خلا حب الله وخدمته تعالى. هذا هو الكنز الذي لا تناله يد السارق ولا يأكله سوس. هذه هي الحكمة الحقيقية بل رأس الحكمة. وهذا هو السلطان الذي يخضع تحت أقدامنا قوات النور والظلام فهدع الجهال ومالهم. ودع الأمم وحكمتها ودع العظماء وشأنهم أما نحن فلنا كنوز في السماء وقد صار لنا المسيح حكمة وقوة. فإذا لمع تجاه أعيننا المال البراق واستغوتنا اللذات المسكرة انثنينا عنها بالفرح ولمعنا عنها أبصارنا نحو القائل: طوبى للمساكين. طوبى للجياع والعطاش: وإن عيرنا أبناء هذا العالم بمعرفهم وحكمتهم أجبناهم: لا نعرف شيئًا سوى المسيح مصلوبًا الذي اختار الجهال ليخزي الحكماء. وإن ضيق علينا اركون هذا العالم واضطهدنا فرحنا بسلوى الروح الذي يفيض السلوان في قلوب عبيد ذاك الذي وعد المبغضين لأجل اسمه أجرًا عظيمًا في السماء. فيكون شرف المسيحي المتعبد لربه ورسوله لا في الأمور المنظورة بل في تلك التي لا ترى وبهذا يمتاز عن بقية الناس لأن الإنجيل وحده علم الآدميين التنزه عن الدنيويات وجعل الفخر في الفقر والحكمة في خضوع العقل لكلمة الله وسعادة الدنيا في راحة الضمير وأنزل الأعزاء عن كراسيهم ورفع المتواضعين فمهما قلنا عن المسيحي وجدنا فيه من العظمة والقدرة والعلم إن لم يكن على رأسه إكليل القداسة فهو حقيقة أحقر الناس.

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Enden-Ghanta

وللطائفة المارونية أن تفتخر بأنها تأسست بالقداسة على صخرة الإيمان ونشأت بالقداسة وثبتت على القداسة كأن الله الذي خلقها وحفظها في الفقر أراد أن تتزين بالفضائل وتتكلل بالنعمة وتبلى بالمحن والكوارث لتقوى على الأعداء الغير منظورين فأضحت بنعمته تعالى عروسًا نقية لا يشوب بهاءها دنس. ومن درس آثارها وزار أديارها أذهله ما بقي في لبنانها من علامات القداسة وحار فكره في شدة تمسك بنيها بعرى التقى وخوف الله. ومن بحث في تواريخ رؤسائها الفاهم يتقلدون الفضائل مع الرئاسة ويتوارثون مع سلطانهم الرهيب ضروب الزهد والقداسة. وحق لنا أن

[1] إننا نتكلم عن قداسة الدويهي وعن الكرامات التي صنعها الله على يده على سبيل الأخبار مخضعين حكمنا في كل ذلك لحكم الذين وكل إليهم الروح القدس تدبير بيعة الله.

نقول مع أحد أصفياء الله: إننا بنو مدينة القديسين وإن حرمنا الله من هذه الدنيا فننتظر منه الحياة التي يهبها للذين لا يصرفون عنه إيمانهم (طوبيا ١٨:٢).

فالبطريرك إسطفان الدويهي كان خلاصة الشعب الماروني وفيه تقمصت الفطرة المارونية بكل صفاتها الحسنة وذلك منذ صغره ولما تسنم المراتب العالية واطلع على أخبار سلفائه الأبرار أخذ من أمثالهم سبيلاً لممارسة الفضائل كلها فصار بإيمانه كابرهيم الخليل وشابه باتكاله على عناية ربه وتدبيره أيوب الصديق وأحب السيد المسيح كالتلميذ الحبيب وزيّن عنقه بقلادة الفضائل الإنجيلية فأمسى مثال الرعاة الصالحين. ولأجل بيان ذلك نورد في هذا الباب ما كتبه معاصروه[٢] لئلا نقع في شرك المبالغة أو يتهمنا القارئ بالتفخيم والتبجيل.

فإذا تصفحنا ترجمة حياته نرى أنه من حين دخوله المدرسة الرومانية اكتسب رضى معلميه ومحبتهم ليس باجتهاده في الدرس فقط بل بقداسة حياته وطهارة سيرته. وروى البطرك سمعان عواد أن اجتهاده في اكتساب الفضائل والابتعاد عن كل خطية كان عظيمًا جدًا حتى أن معلم اعترافه كان يشهد انه لم يجد فيه في غير الأوقات مادة كافية لإعطائه الحلة وكان رفاقه في المدرسة يقولون انه لم يفعل شيئًا يمكن أن يكون خطية عرضية. وفي أيام الآحاد والأعياد والبطالات المدرسية كان تردده إلى المكاتب والكنائس

وما برح ينمو في الحكمة والنعمة عند الله والناس يومًا فيومًا وقد اعتراه مرض العينين كما سبق الكلام في محله ذهب إلى الكنيسة وخر ساجدًا أمام مذبح والدة الإله فنجته شفاء تامًا وفي عمله هذا واتكاله على أم المخلص دليل على تقواه العظيمة وإيمانه الوطيد.

ومنذ مبارحته المدرسة أخذت الفضائل التي كان تعلم ممارستها تظهر إلى الخارج وتذهل كل من كان يدنو منه. فمن هذه الفضائل التواضع المسيحي القائم بمعرفة الإنسان ذاته معرفة حقيقية رغمًا عن تعظيم الناس له والبرقع الكثيف الذي يغطي بصيرة الكبار إذا وجدوا بين قوم سذّج ونظروا إلى معارفهم وجهل من يحيط بهم وأمالوا آذانهم إلى أحاديث المرآئين المدلسين. وهذه الفضيلة التي سماها الروحانيون أساس الحيوة المسيحية ومبدأ كل الفضائل ظهرت في البار إسطفانوس منذ صباه فلما تمم دروسه ورغب إليه سادات المجمع المقدس وغيرهم أن يبقى في رومة رفض ذلك تعلقًا منه بوطنه وطائفته استكبارصا لطلبهم. ولما كانت الجموع تتراكض لتسمع

[٢] خصوصًا البطرك سمعان عواد.

http://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden Zgharta

محاوراته التي كان يقيمها في المدرسة ما كان يفتخر ولا يتكبر على رفاقه بل بعكس ذلك كان يحسب ذاته أدنى الجميع وأصغرهم وهذه الشعائر الباطنة كانت تظهر في توقيره للجميع وانقياده لهم في سائر الأمور. وعند رجوعه إلى قريته لم يطلب العلا والمديح بل اختبأ في دير واعتنق الانفراد الرهباني طوعًا وتفرغ للأعمال الوضيعة ولتعليم الأولاد ولترويض بني بلدته في أعمال البر مبتغيًا رضاه تعالى لا غير. ومكث في تدبير النفوس وتعليم الشعب وسياسة الرعايا إلى أن دعاه الله إلى البطريركية وإذ علم بوقوع انتخاب السادة المطارين عليه فرّ هاربًا وتخفى إلا أن الله لم يبلّغه منيته. لكنه قبل أن يثبته على كرسيه ودليلاً على رضاه تعالى عنه امتحن صبره وتقواه لأن الله يمتحن بالتجربة الذين يخافونه. فقام عليه نفرٌ من الطائفة وطلبوا عزله عن البطريركية فألقى همه على الرب وسلم إليه تدبيره وفي الحال كتب للخوري يوسف شمعون أن يرجع بدون برآة التثبيت فلم يسمح الله أن تطبع صورة الخاتم معلنًا بهذه الآية أن انتخاب إسطفانس صار بإلهمامه وإرادته القدوسة لا من اللحم والدم ومن هذا الحادث يعرف القارئ سمو فضل هذا البطريرك ونزاهته عن المقاصد الزمنية والأفكار البشرية.

وسأله مرة أحد أصدقائه عما إذا كان كتب شيئًا من تآليفه الكثيرة حبًا بالاشتهار وتظاهرًا بالعلم فأجابه أنه لم يكتب إلا ما يراه الحق والصدق بدون غرض شخصي البتة. وقد أشرنا في باب آخر إلى أدبه واحترامه للأخصام فلم يهزأ ولم يسخر بأحد منهم ولم يمسهم بكلمة واحدة قارصة مع ما في هذا الأمر من الصعوبة فإنه فضلاً عن مراعاة الآداب وضع نصب عينيه محبة القريب كما سنها المخلّص في إنجيله الطاهر.

وكان في بطريركيته إذا قدم إليه بعض المظلومين يمد لهم يد المساعدة وينتصر لهم وإذا دخل عليه أحد الفلاحين كان يلاقيه إلى الباب ويجلسه على كرسيه ويسكب له خمرصا في قدحه ويناوله إياه ويعامله كالأم الحنون ولا يصرفه إلا مسرورًا مجبور الخاطر. وشهد لنا البطرك سمعان عواد أنه كان متضعًا على السدة البطريركية أكثر مما لو كان خادمًا في المطبخ. ونحن لا نريد زيادة على هذه الكلمة بل نطلب من القارئ الفاضل أن يمعن فيها النظر ويتأمل عظم هذا الاتضاع في مثل هذا المقام السامي.

ولا يتوهم أحد أن الاتضاع يستلزم الضعف أو يولده فإن سير القديسين جميعهم تزيل هذا الوهم والتواضع المسيحي المبني على معرفة الإنسان نفسه وعلى معرفة واجباته نحو الله والناس يحمله على احتقار الذات ويقويه على تتميم فروضه وعلى القيام بحقوق وظيفته ورتبته. فالبطريرك إسطفان مع ما كان عليه من التواضع كان يحافظ على شرف مقامه أمام الناس ويبين في

https://patriarchdouaihy.com/Patriarchal-Eparchy-Ehden-Zgharta
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

تصرفاته درجته العالية التي لم يسمح لأحد قط أن يبدي نحوها إمارات الاحتقار. وهذا أيضًا من غرائب الدين المسيحي فإنه يعتبر الاتضاع كأكبر الفضائل الراهنة ويطلب في القديسين القوة والنشاط وهما في تعليمه هبتا الروح القدس. فالبطرك إسطفان مارس التواضع كالقديسين وأفاض الروح القدس هاته المواهب في قلبه فأظهرها في أعماله واحتمل من الشدائد ما لا تقوى عليه قدرة الإنسان إن لم يعضده الله وقد ذهب مؤرخو حياته إلى أنه يرَ قط يوم راحة في مدة رئاسته كلها ولما كان الحكام والمشائخ والأمراء يسعرون نار الحروب باختلافاتهم ومطامعهم كان البطريرك يتأثر في قلبه ويحزن من خراب وطنه وضرر أبنائه وكان يدافع ويقاوم ويناضل بلا راحة ولا خوف ويجاهد للحق ولو لحقه الأذى. وجمع مرارًا أعيان الجبة وحثهم ليتفقوا على إقامة حاكم ثابت لها وكان يبكتهم ويوبخهم ويعلن سخطه عليهم إذا لم يطيعوا. وكلفًا بهم وبخيرهم الزمني والروحي قاسى أهوالاً وعذابات لم تنزل بغيره بصبر لا نفاذ له ونشاط ل يعرف الملل. وقد ذكر مؤرخ حياته البطرك سمعان عواد أنه قبل الشتم والعار مرارًا وكان يفر هاربًا أمام مضطهديه من مقاطعة إلى أخرى واختبأ مرارًا في المغاور وبين الصخور غير مبال بلهيب الشمس في الصيف وبقرص البرد والزمهرير في الشتاء وكابد مرائر الجوع أيامًا طويلة واقتحم الموت مرارًا وما كان نجا منه لو لم تحفظه العناية الربانية وتعقب أعداؤه مرة في أيام شيخوخته فاضطر أن يطوف في الأحراج والوديان "على شبه البهائم والوحوش" حتى كاد يموت من شدة البرد والزمهرير فنزل في قلب ليلة مقمرة مع يازجيه الخوري الياس شمعون الحدرونى وحده من مغارة موقعها تحت قرية الحدث في الجبة وعند وصوله إلى سيدة الكرم وهي كنيسة صغيرة إلى جنوبي وادي قاديشا وحولها بيوت شركاء الكرسي البطريركي وجدها مقفلة فوقف أمام الباب وكشف رأسه وصلى نحو ربع ساعة ثم نزل إلى النهر وعبره وسار على طريق قنوبين ولما وصل فوق المطحنة التي إلى جانب الجسر احالي أنهكه التعب وخانته قواه فجلس في الطريق فنصحه رفيقه أن يقوم من هناك لئلا يراه أحد من الأعداء لأن ضوء القمر كان أحال الليل نهارًا ولئلا يؤذيه الهواء البارد الآتي من الوادي لأنه كان عرقانًا من عنف المشي وصعوبة الطريق فقام وتنحى عن الطريق وجلس في ظل تلّ قريب واتكأ رأسه على العصا التي كانت بيده وأخذ ينتفض من البرد فرقّ لحاله كاتبه المذكور وخاف على حياته وحار في أمره وبعد نصف ساعة وهو على هذه الحالة وافاه مكارو الدير الذين كانوا ينتظرون قدومه فركب وسار معهم نحو دير حوقا إلا أن الطريق لم تمكنه من الركوب فاضطر أن يمشي رغمًا عن وعورة المكان وكان إذ ذاك ابن سبعين سنة فما بلغ الدير إلا على آخر رمق. وزد على كل ذلك أنه عند وصوله إلى دير حوقا وجده مقفلاً فأرسل بطلب المفتاح من قنوبين والتزم أن ينتظر رجوع الرسول في الخارج ومكث نحو ساعة معرضًا للاهوية

https://patriarchdouaihy.com/Ehden-Zgharta Maronite Patriarchal Eparchy

[٣] عن البطرك سمعان عواد.

والبرد فلحقه من ذلك عذاب لا يطاق. ولما دخلوا الدير تمكن البرد من كاتبه من جراء ما قاسى في تلك الليلة فنهض البطريرك وأضرم نارًا وقدم له عرقًا وسقاه شيئًا منه ونسي نفسه وما زال يعالجه كالأم الرؤوف إلى أن شفي تمامًا.

ولما تآمر عليه بعض المطارنة والأساقفة وأرادوا أن ينزلوه عن كرسيه أشهر سلطة عليهم ووبخهم وتهددهم وحرم كل من يرى رأيهم ويعتصب معهم وكان يشعر بثقل حمل وظيفته السامية وكان عزم على أن ينتزل عنها لو لم يمنعه عن ذلك حبه للطائفة وعدم اكتراثه براحته الخصوصية. وفي كل ما كان يصيبه من الاضطهاد وما يتراكم عليه من الشدائد وما يكابده من البلايا والضيق لم يضطرب قط ولم يفشل ولم يحزن بل كان في كل وقت معتدل الطبع مسرورًا قابلاً كل شيء من يد الله وموجهًا أعماله كلها لمجد اسمه تعالى وعند نزول المصائب كان يكرر قول الرسول: إنّ جميع أوجاع هذا العالم لن توازي المجد الذي سيظهر فينا[٤]: وفي المغاور والأودية حيث كان يختبئ كان ينقطع للصلوات الطويلة والتأملات المديدة ولتصنيف الكتب لأنه لم يكفف عن القراءة والتأليف حيثما كان وأكثر تآليفه كتبها في البراري كما قلنا.

ومرة ما عاد كاتبه من طرابلس إلى قنوبين وأصابه في الطريق شيء من المطر ولما نظره البطريرك إسطفان في تلك الحالة نهض لساعته عن الفراش الذي كان ملقى عليه بسبب وجع رجله ومن داء النقرس الذي كان يعذبه وجعل يمشي على رجل واحدة حتى وصل إلى الصندوق فناوله منه قميصًا ناشفًا وقدح خمر وأضرم نارًا ودعاه ليصطلي فانذهل كاتبه[٥] من صبره على أوجاعه وشفقته على غيره. ومرة أخرى كان سائرًا في جرود الجبة بين الثلوج وكان البرد قارصًا حتى أن الخيل كادت تعجز عن السير ولما رأى البطرك رفاقه مؤلمين مكتئبين نزل عن فرسه وسار قدامهم ماشيًا رغمًا عن كبر سنه وأخذ يشجعهم بكلامه ومثله وظلم نفسه ليرحمهم وثقل على ذاته ليخفف شدتهم.

فهذه المزايا أي القوة والحنو والنشاط والجودة قلما توجد مجتمعة في شخص واحد مثلما كانت في البطريرك إسطفان الذي يمكن أن يقال عنه أنه كان قويًا صلبًا كالألماس وحنونًا كأم شفوق.

ولا حاجة إلى ذكر تمسكه بأذيال العدل والإنصاف في الأحكام وغيرته على أبناء الكنيسة وخصوصًا على طائفته وجهاده في نشر لواء الإيمان الكاثوليكي ومناضلته عن حقائقه المقدسة

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٤] رومية ٨:١٨.
[٥] وكان هذا الكاتب من أنسباء الخوري الياس شمعون.

تجاه كل الأخصام. أما تقواه فإنها كانت عظيمة كسائر مناقبه فكان في الصلوة يكتف يديه ويحني رأسه ويطرق إلى الأرض ويجلس هكذا بدون حركة في حضرة الباري بكل خشوع ووقار. وفي مدة رئاسته على الكرسي الانطاكي كان يقوم في نصف الليل شتاء وصيفًا ويصلي ويتوسل إلى الله ساعات طويلة وسمعوه مرارًا كثيرة يتكلم مع مريم البتول التي كان كرّس ذاته لها بعبادة خصوصية وهي ترآت له أكثر من مرة خصوصا في أوقات هربه من وجه أعدائه والذين كانوا يطلبون قتله وقالت له مرة "ان لا يخاف على مال الدير لأن قشة منه لا تذهب" كما جرى بالحقيقة لأنه كان يبتعد عنه شهور وسنين ويأتي إليه الكفار والأعداء ولم يلحقه أدنى ضرر. وفي ذات يوم دخل أحد الرهبان إلى قلاية البطريرك فوجده يبكي وينوح فسأله عن سبب بكائه فأجابه: إنّ اللصوص الذين عارضوا مريم البتول في الطريق ماذا كان يمكنهم يسلبونها: وكان وقتئذ موضوع تأمله هرب البتول إلى مصر. وكانت هذه العبادة الحارة تنمو وتزهو بين أشواك التقشفات الجسدية التي مارسها حبرنا المغبوط منذ صباه فمن حين وجوده في المدرسة كان يميت حواسه في الأكل والشرب والنظر ولم يذق قط بواكير الأثمار الجديدة التي كانت توضع على المائدة وكان يترك ما يشتهيه الذوق وتميل إليه الطبيعة الحيوانية من المآكل والمشروبات وقال أكثر من مرة أنه لم ينهض قط عن المائدة شبعانًا وسأله مرة أحد أصدقائه عن السبب الذي كان يفعل ذلك لأجله فكان جوابه: أما تريد أن نميت الجسد أحيانًا بشيء يسير ونربح شيئًا يفيد نفوسنا. وانقطع عن أكل اللحم طول حياته ولم يذقه في أوقات مرضه إلا بإشارة مرشده وأمره وكان يمتنع عن المآكل الفاخرة ويرضى بكلما يأكله الرهبان وكان زاهدًا قنوعًا ضيقًا على نفسه محبًا للفقر حب القديس افرنسيس الكبير له. فكانت قمصانه ومراويله عتيقة وكان يظهر أمام الناس بغنباز أزرق لبسه سنين عديدة. وحدث أن أحد الحلبيين أهدى إليه شقة حرير حسن اللون غالي الثمن ليقطع له ثوبًا يلتحف به فقال البطريرك عند قبولها: لو انك عمل منها بدلة أو بدلتين للكنيسة لكان عمله أفضل. ولم يرد أن يلبسها بل أعطاها لأحد المكارين وأخذ منه رستميته العتيقة ولبسها.

فمن كانت هذه صفاته وفضائله هل يتركه الله أو يرد له طلبًا. حاشا. لأن الله لا يخيب المتكلين عليه ولا تغلبه خليقته بالجود. وقد شهد البطرك سمعان عواد في كلامه عن الدويهي ان أعماله كانت جميعها مرضية لله ولذاك صنع الله المعجزات على يده شهادة لفضيلته وتأييدًا لتعليمه فكل من غضب عليهم في أيام رئاسته أو أوقع بهم الملامات الكنائسية ماتوا مرذولين من الله والناس. فالبعض من الذين حرمهم البطريرك إسطفانس قضوا أجلهم في العذابات المختلفة والبعض قتلوا بالسلاح والبعض وقعوا في أيدي أعدائهم وماتوا موتًا شنيعًا. لأن الرب القدير حفظ لذاته الانتقام من الذين يصنعون السوء في عبيده. فإن البطريرك غسطفان حرم أحد رهبان الافرنج الساكنين

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden Zgharta

جزيرة قبرس لنقائص ارتكبها فغضب المرسل المذكور وطفق يطعن بالبار إسطفانس ثم همّ بالسفر إلى لبنان ليؤنب البطريرك على ظلمه لكنه عند وصوله إلى المينا انقض عليه الموت كالصاعقة وقد روى هذه الآية القس جبرائيل حوا نقلاً عن يوسف الكلداني والمطران إسحق مفريان السريان الذي كان مع الدويهي لما صارت هذه الآية. وحرم الدويهي خوريًا في بلاد صيدا لنسخه كتبًا ممنوعة فمات بعد ثلاثة أيام.

وحظي البطريرك إسطفان بنعمة جزيلة من لدن الرب الذي منحه في حياته وبعد مماته قوة صنع المعجزات وشرفه في أقطار المسكونة وجعله مصباحًا في بيعته ينير السالكين في طرق الخلاص. ونحن نذكر هنا الآيات التي جرت على يده وبشفاعته كما وجدناها وكما رواها مؤرخو حياته وإن جهلنا زمان حدوثها:

قيل أنه لما كان في قرية مجدل معوش التهبت النار في حظيرة أحد الدروز فطفق هذا يتوسل إلى أوليائه وليس من يستجيبه فقال له الحاضرون توسل إلى شيخ مجدل معوش يريدون بذلك البطريرك إسطفان فصنع وللحال طفئت النار ولم تحدث بماله ضررًا. ولما كان الغد أخذ ماعزًا وغير ذلك حسب مكنته وقدمه للبطريرك وأخبره القصة بالتفصيل.

وفي أثناء وجوده في القرية المار ذكرها أي بين سنة ١٦٧٧ – ١٦٨٥ تعاهد بعض أهالي القرى المجاورة أن يأتوا بهدية إلى مجدل معوش لتقبيل أقدام البطريرك والتماس بركته وفي صباح يوم مجيئهم وجد أحدهم غائبًا فلم يدعوه ولم ينتظروا قدومه ولما عاد رأى من غيبته وعرف بذهابهم دونه اغتاظ من ذلك جدًا وعزم على التوجه وحده لكنه حار في ما يقدمه للبطريرك وفي كيفية مواجهته له لأنه كان فقيرًا وبعد التروي أخذ شنبلاً من القمح ومضى. فقبله البطريرك بكل حنو وبشاشة وباركه وبارك ماله وأرزاقه فلما عاد الرجل إلى بيته رأى وعاء القمح مملوءًا قمحًا فأخذه العجب وذهب أخبر سيده بذلك وكان هذا درزيًا فأخبر الأمير بكلما جرى فقال له الأمير: لا تتعجب فإن البطريرك إسطفانس قد صنع آيات تفوق هذه الآية. وكان الأمير يقول عن البطريرك أن له دالة عظمى على الله تعالى. حتى أنه كان يقول أيضًا: إن الملة المارونية إذا فقدت هذا البطرك لا يبقى لها حال.

ومرة أخرى شتمت امرأة أختها واتهمتها بأمور شريرة زورًا على سماع البطريرك فقال لها البطرك هذا اللسان يستوجب الربط. وفي الحال اعتقل لسانها.

https://patriarchdouaihy.com/al-Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

ومرة استدعى البطريرك مشائخ الجبة وأعيانها للنظر في حالة البلاد وكان محل الاجتماع تحت شجرة تين في قرية أيطو ولما أبوا الانقياد لكلامه طعنهم بنبال الحرم وغضب عليهم فللوقت يبست التينة وتناثرت أوراقها وشهد البطريرك سمعان أن هذه التينة كانت باقية في أيامه ناشرة على أغصانها اليابسة قوة سخط الدويهي.

ولما كان في بكفيا في إحدى السنين انحبس المطر مدة طويلة حتى أن الزروع والأشجار تلفت وورق التوت تساقط وطلبوا أن يعمل طوافًا (زياحًا) في القرية ابتهالاً لله فلما كان اليوم الثاني قدم الذبيحة الإلهية على هذه النية واحتفل بالطواف مع أهل القرية وبعد الحفلة إذ جلس على المائدة للغذاء سمع صوت الرعد ثلاثًا فظن البعض أنه صوت مدافع بوارج دخلت ثغر بيروت وبينما هم يتحدثون تغير الجو وهطلت الأمطار بغزارة وانتعشت الأرض والنبات. وكان حاضرًا في بكفيا رجل تركي وعد أنه يصير نصرانيًا إذا أمطرت السماء فعندما رأى المطر فرّ إلى بلاد الدروز خوفًا من أن يلزموه بما وعد وبعد ذلك بقليل لقي جزاء كفره وقتل.

ولما كان البطريرك في بكفيا كان أحد الأولاد مريضًا وقد أشرف على التلف فلما رأى أبوه حاله أرسل أحد بنيه إلى الكنيسة حيث كان البطريرك اسطفان يقدمك الذبيحة الإلهية وأمره أن يأخذ في آخر القداس قليلاً من التراب الذي كان واقفًا عليه ففعل الولد كما أمره أبوه ثم أخذ التراب وذوبه بقليل م الماء وسقى ابنه المريض منه فلما شرب الماء عوفي وفي الغد قام يلعب مع الأولاد. وهذا الولد انخرط بعدئذ في سلك الكهنوت وصار أسقفًا وهو المطران فيلبس الجميل. وخبر هذه الأعجوبة وغيرها مما سبق حرره القس مخائيل الفاضل تلميذ رومة وأرسله إلى المدرسة الرومانية بتاريخ ٢٠ آب سنة ١٧٠٥ وشهد أنه كان معلم الصبي المذكور وأن والديه أقسما له أن الأمر جرى حسبما ذكرناه.

ولما كان البطريرك في كسروان تهدده أحد الأشقياء بالقتل واستل مدية ليطعنه بها فابتلاه الله بالجنون وبعد أن أرسله أقاربه إلى دير قزحيا وعوفي عاش قليلاً ومات.

ومرة انحبس المطر طويلاً وكادت الزروع تجف فقام البطريرك مع المطارنة والأساقفة والإكليروس بالطواف من دير قنوبين إلى مغارة القديسة مارينا حاملين صورتها وعليهم الحلل الحبرية وقبل رجوعهم إلى الدير انحد المطر بغزارة. وهاتان الآيتان رواهما للبطريرك سمعان الخوري الياس شمعون الذي شاهدهما بعينه.

https://patriarchdouaihy.com/
Marobite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

وأخبر كثيرون أنه لما كان في قرية ساحل علما انحدر برد شديد أضرّ بالأشجار وكان إذ ذاك البطريرك نائمًا. فدخل عليه أحد الكهنة وأيقظه من نومه وقال له: يا سيدنا قد عطلت أرزاقنا وتلفت غلالنا فاشفع بنا بصلواتك. فنهض وقال لا تخافوا. ثم كشف عن رأسه ووقف في الباب وأخذ يصلي لله ويطلب منه لأن يلطف بعباده ويرفع غضبه فوقف انحدار المطر حالاً.

وأخبر البطرك سمعان عواد قال: إن صديقنا الشماس يوحنا وهبه الدويهي[٦] ابن أخ البطريرك إسطفان ذكر في كتاب له عن الحوادث الشهيرة التي صارت من سنة ١٦٩٥ إلى سنة ١٧٠٤ خبر آيتين أخريين نوردهما نقلاً عنه. قال أن النار اشتعلت ذات يوم في وادي قنوبين وامتد لهيبها من تحت الحدث إلى بريسات (إلى غربي كرسي الديمان القديم) واستمر سعيرها سبعة أيام متوالية فاحترقت الشجار من النهر إلى رأس الجبل وتشققت الصخور وأخذت تتدكرب وما عاد أحد يتجاسر يمرّ في الوادي وفي أحد الأيام عند الظهر خرج السيد البطريرك ينظر الحريق وبجانبه المطارين وبعض الكهنة والشمامسة وجمهور أناس غيرهم وبينما هو ينظرون انفصل صخر كبير من الشير الذي تحت بريسات وسقط نحو الجزيرة التي قبال الطاحون في قاطع بريسات فصرخوا جميعهم متأسفين: رأيت الجزيرة: فرفع البطريرك يمينه ورسم نحو الصخرة إشارة الصليب وقال لها: تهدي يا مباركة. فوقفت في مكانها في نصف الطريق وشاهدها جميع المارين من هناك. ومن الذين حضروا هذه الأعجوبة يوحنا وهبه الذي كتبها في مجموعه السابق ذكره والشماس سمعان عواد الذي نقلها عنه وكان شاهدًا عيانيًا.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

الآية الثانية التي شاهدها ابراهيم الغزيري الذي ترأس على دير مار يوحنا رشميا لما كان الدويهي في مجدل معوش وأخبرها لتلاميذ المدرسة بعد ذهابه مع مخائيل البطوشي إلى أم المدائن وأخذها عنه سمعان عواد وحفظها في ترجمة بطريركنا المغبوط قال انه لما كان البطريرك إسطفان في جبل الشوف يتفقد الرعية في قرية الباروك قدم رجلان من الدروز وتوسلا إلى كاتب البطريرك وموازيه أن يتنازل ويمر بالقرب من حوانيتهم لأنهم كانوا صبّاغين وتعبوا كثيرًا في هذه الحرفة ولم يدركوا التوفيق وأقروا أن رجاهم وطيد بصليب بطريرك الموارنة وأنهم يلتمسون منه أن يرسم الصليب على أدواتهم. فبلغ أمرهم حبرنا المطوّب فأمر أن يرموا بحوانيتهم ولما وصل إليها رفع يده وأمرهم أن يرموا الأنسجة في الصباغ فمسكت بها الأولان واصطلحت أمورهم. قال البطرك سمعان عواد بعد كلامه عن عن هاتين الآيتين: أنا بنفسي أشهد بهذا كله لأن العجيبة الأولى قد شاهدتها بعيني ولمست بيدي الصخرة التي أوقفها البطريرك إسطفان والثانية رواها

[٦] ليوحنا وهبه كتاب عنوانه عامود إسرائيل عثرت على نسخة منه في مكتبة دير فيطرون وأربعة كتب في الوعظ والإرشاد وفي مقدمة كتابه الأول يقول أنّه كان في رومة سنة ١٧٠٦.

صديقي ورفيقي الشماس حنا المذكور وحكاها لي الخوري ابرهيم الغزيري الذي ذهب بنا إلى رومة.

وقيل أنه كان على طريق حصرون صخرة كبيرة وفي هذه الصخرة كان يترأى الشيطان بصورة قرد ويخيف العابرين ويؤذيهم فلما كان البطريرك إسطفان مرة ما في حصرون طلب إليه الحصارنة أن يرفع يمينه على الصخرة المذكورة ويرسم إشارة الصليب ففعل وأمر العابرين من هناك أن يسموا ذواتهم بسمة الصليب المقدس. فتوارى الروح الشرير ولم ينظره أحد بعد ذلك.

وقد عثرنا في صفيحة قديمة العهد على خبر المعجزتين الآتي ذكرهما: شرب رجل من آل حماده نخب مار إسطفانس فتعارضه أحد رفاقه وفاه بحق البطريرك المذكور بكلام غير لائق لكنه ما فرغ من كلامه إلا ووقع مصروعًا على الحضيض فلما شاهد النصارى الحاضرون ما كان من أمره تناول أحدهم قدح خمر ورماه في الجو وقال: سرك يا بطرك إسطفانس فوقع القدح الزجاج على الحجارة ولم ينكسر ولم يرق ما فيه. قال المؤرخ المجهول: هاتان الأعجوبتان سمعتهما من الشماس عازار المقدسي الذي شاهدهما بعينه.

وقد صنع الله بشفاعة صفيه إسطفانس معجزات أخر بيّنّ علينا المؤرخون بها ونحن قد أوردنا في الأسطر السابقة كل ما وجدناه في المصاحف القديمة سترًا لعبير قداسته وبنيانًا للقارئ وخدمة للتاريخ وفي الفصل الآتي سنذكر إن شاء الله الآيات التي حدثت بعد وفاة بطريركنا المثلث الطوبى.

https://patriarchdouaihy.com/ Ehden-Zgharta
Maronite Patriarchal Eparchy